تقـديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فهذا كتاب الأموال لحميد بن زنجويه يقدمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الى قراء العربية ضمن المجموعة الأولى من مطبوعاته مؤملا ان يحقق النفع المرجو منه وان يلقى القبول المتوقع له بين القراء وخاصة من أهل الاختصاص.

والكتاب كما يتضح من فصوله، وكما تؤكد المقدمة التي تفضل بكتابتها الدكتور محمد عمر شابرا يجمع بين صفات قل ما تجمع في مصنف واحد، فهو اولا كتاب تراثي من الكتب المعتمدة في مجاله، ثم هو كتاب لا تزال المواضيع التي تطرق اليها حية يحتاجها مسلمو هذا القرن كما احتاجها مسلمو القرن الثالث مع اختلاف في الأساليب والبيئات، واخيرا هو كتاب في علم الاقتصاد الذي لا يخفى على أحد ما له من دور خطير في حياة الأمم في هذا العصر.

ان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي انشىء للمساهمة في تطوير حركة البحث العلمي في كل المجالات المتعلقة بالحضارة الإسلامية وعلومها، ليأمل أن يكون لنشر هذا الكتاب دور في دعم حركة البحث العلمي الجاد في مجال الاقتصاد الإسلامي الذي تزداد الحاجة اليه يوما بعد يوم، ليس في بلاد المسلمين فقط بل في بلاد الله الواسعة كلها.

نسأل الله الثواب الجزيل لمؤلف الكتاب ولمحققه..
كما نسأل التوفيق والسداد.. والحمد لله من قبل ومن بعد.

د. زيد عبد المحسن الحسين
مدير عام مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

كتاب الأموال

« لحميد بن زنجويه » ٢٥١هـ

مقدمة

اعداد الدكتور محمد عمر شابرا

ان الصحوة التي يشهدها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر قد انعكست في جميع مظاهر الحياة ولاسيما في المجال الفكري، وفي حين تمثل جزء من هذه الصحوة الفكرية في الأعمال الأصيلة والمبدعة فان جزءا آخر منها قد تجلى في اكتشاف وتحقيق المؤلفات التقليدية الكلاسيكية القديمة التي أسدت خدمات جليلة لعصرها، غير انه عفا عليها الدهر بعدئذ وظلت كذلك حتى الآن. ومن بين هذه المؤلفات التقليدية القديمة «كتاب الأموال» لمؤلفه حميد بن زنجويه.

يمارس قطاع المال العام والخاص على حد سواء دورا بالغ الحساسية في اقتصاد اية دولة بغض النظر عن الحقبة الزمنية من التاريخ او مرحلة التنمية. ان التنظيم العادل والفعال لهذا القطاع منذ القدم يحدد الى درجة كبيرة تطور الاقتصاد علاوة على تحقيق العدالة الاجتماعية الاقتصادية والتوزيع العادل للدخل وتحديد قدرة المجتمع على تلبية متطلبات الأمة بأكملها. وبما ان الإسلام قد أولى اهتماما كبيرا لهذه الأغراض فان التنظيم الملائم للمالية العامة والخاصة يعتبر أمرا بالغ الحيوية.

وظهرت في الحقبة المبكرة من التاريخ الاسلامي بعض الآراء حول هذا الموضوع في عدد من المصادر مثل «كتاب الخراج» لأبي يوسف، ويحيى بن آدم، و «كتاب الأموال» لأبي عبيد. وكان كتاب الأخير أبو عبيد الأكثر شمولا بيد أن «كتاب الأموال» لابن زنجويه ذهب الى أبعد من ذلك ليشمل مجالات أوسع من تلك التي تناولها أبو عبيد، فكان بالتأكيد مفيداً للغاية. ولذلك فان اكتشاف وتحقيق هذا الكتاب سيسد ثغرة كبيرة ويسدي للمفكرين خدمة عظيمة لا تقدر قيمتها لأن ذلك سيتيح توفير مادة تعذر الوصول اليها حتى عصرنا هذا.

وقد عاش ابن زنجويه في الفترة ما بين سنة ١٨٠ - ٢٥١ بعد الهجرة، وتعتبر هذه الفترة من أكثر الفترات انتاجا من حيث المؤلفات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ولاسيما في الكتابات الدينية عن الإسلام، وكان ابن زنجويه طالبا عند كثير من الأساتذة المشهورين بما فيهم أبو عبيد وكان من بين طلابه شخصيات معروفة مثل أبو داود والنسائي من مفكري تلك الأيام، وقد كان يعمل بجهد بالغ وعاش حياة بسيطة جدا، كما كان كثير الترحال بحثا عن المعرفة وبذلك امضى حياته في اكتساب العلم ونشره.

ويستحق الأخ شاكر ذيب فياض كل تقدير لاختياره كتاب «مخطوط» ابن زنجويه والتحقيق فيه في رسالته لدرجة الدكتوراه. وتتضمن ملاحظاته الهامشية (الايضاحية) معلومات قيمة على درجة عالية من الأهمية وهي ذات فائدة كبيرة بالنسبة للباحثين ولا بد من الإشادة بالاستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي لتشجيعه ومساعدته وتوجيهه الأخ فياض.

ان «كتاب الأموال» لابن زنجويه يعطي القارئ فكرة جيدة عن طبيعة الدولة الإسلامية وأهدافها وأساليبها. ويركز في بداية الكتاب

بوضوح على طبيعة الرفاهية في الدولة الإسلامية. ان الاخلاص أو النصيحة هي جوهر جميع مظاهر الحياة في الإسلام بما فيها الحكومة، وبناء عليه فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنما الدين النصيحة» وقال أيضا: «من ولاه الله من أمر الناس شيئا فاحتجب عن خلتهم وحاجتهم وفاقتهم، احتجب الله تبارك وتعالى يوم القيامة عن حاجته وخلته وفاقته».(رقم ٧ -صحيفة ٦٤). ويتحدث المخطوط ايضا عن صفة العدالة التي ينبغي توفرها في أية دولة إسلامية. وبينما ذكر الكتاب بالتفصيل مسؤوليات الدولة، فقد أوضح ايضا سمات الامة - (الشعب) - والطبيعة التكميلية للتفاعل بين الدولة والشعب. ان الالتزام الديني للمسلمين يملي عليهم التعاون مع الدولة لتمكينها من اداء واجباتها وتحقيق أهداف هامة.

ونظرا لما للمالية من دور هام في رسم سياسات واستراتيجيات الدولة وبما انها تمكنها من ترجمة اهدافها الى واقع عملي، فقد اعطى المحقق في الكتاب فكرة عن النظام المالي الذي شرعه الإسلام ليتسنى له صيانة العدالة الإجتماعية والإقتصادية وتلبية المتطلبات الأساسية، وتحقيق الرفاهية العامة.

واتاح هذا الكتاب والكتب الأخرى المماثلة في طبيعته، المادة الخام للباحثين والمفكرين، وبرغم ان مؤلفي هذه الكتب قد بذلوا جهدا كبيرا - جزاهم الله كل خير - الا ان عملهم ليس كافيا ويتعين على الآخرين متابعة مسيرتهم والمضي في استخدام المادة الخام لصياغة مبادىء المالية العامة لدولة اسلامية حديثة. فقد تغيرت الظروف ولم تعد لبعض مصادر الدخل مثل (الفيء - و- الجزية) صلة بالدولة الحديثة، وبناء عليه ينبغي استنباط المبادئ الأساسية لنظام مالي من تعاليم الشريعة الإسلامية ليتسنى للدولة الإسلامية الحديثة حشد الأموال الملائمة لتتمكن من القيام بمسؤولياتها التي ينص عليها مفهوم دولة الرفاهية في الإسلام

وبالتالي تحقيق الأهداف الإسلامية في العدالة الاجتماعية والاقتصادية والتوزيع العادل للدخل وتحقيق الرفاهية العامة.

الرياض

الدكتور محمد عمر شابرا